رواية (يا مريم) لسنان أنطوان دراسة تداولية

د. إشراق كامل كعيد د. سولاف مصحب مهدي
جامعة النهرين - كلية العلوم السياسية

الخلاصة

نظرت التداولية إلى الخطاب الأدبي بوصفه موضوعاً خارجياً يحتاج إلى فاعل ويقوم على علاقة تخاطبية ، أي إنها تدرس العمل الأدبي عبر التركيز على مقصدية الكاتب، ومحاولة رصد البعد الحجاجي والمنطقي في النص. فهي تركز على الجانب الاستعمالي والتواصلي للغة الذي يهدف إلى إقناع المتلقي واستمالته والتأثير العاطفي فيه.

ورواية (يا مريم) ابتداءً من عنوانها (الاستغاثي) التواصلي، وبنائها الحواري والحجاجي القائم على منطقين مختلفين تماماً، منطق التفاؤل والنظر إلى الأمور بموضوعية مطلقة، ومنطق التشاؤم والانغلاق والنظر إلى الأمور بعاطفة مطلقة. هذان المنطقان يتجسدان من خلال شخصيتي (يوسف) و(مها) اللذين تقع على عاتقهما عملية سرد أغلب أحداث الرواية.

وقد اعتمدت الباحثتان المقاربة التداولية في دراسة الرواية عبر قراءة الدلالات والمعاني، والإشارات والمعينات الزمانية والمكانية، ورصد التناصات والحوارات والبعد الحجاجي، والإحالات المرجعية للوصول إلى مقصدية الكاتب والنص، فضلاً عن توظيف آليات المنهج التحليلي الوصفي الذي اتخذناه وسيلة إجرائية للتحليل.

وكان لزاماً علينا أن نقدم إطاراً نظرياً لمفهوم المقاربة التداولية وعرضاً موجزاً لنشأتها وتطورها، وإمكانية تطبيقها على النص السردي، وهذا ما تضمنه المبحث الأول من البحث، أما البحث الثاني فكان من نصيب الجانب الإجرائي والتحليلي الذي جاء على محاور عدة.

كلمات مفتاحية: التداولية, المقصدية, التواصل, السياق، الحوارية

Novel of (Ya Mariam), for Sinan Antwane - Pragmatic Study

Ins. Dr. Ishraq Kamel Qaed Ins. Dr. Sulaf Mus'hab Mahdi
Nahrain University - College of Political Science

Abstract

Pragmatique looked at literary discourse as an external subject that needed an actor and based on a communicative relationship, that is, it examines literary work by focusing on the author's intent, and attempting to monitor the pilgrim and logical dimension in the text. It focuses on the practical and communicative aspect of the language, which aims to convince the recipient and his or her emotional influence.

And the novel (Yamrim) starting from the title (Sos) communication, and building dialogue and pilgrims based on two different logic completely, the logic of optimism and look at things with absolute objectivity, the logic of pessimism and closure and look at things with absolute passion. These two tendencies are embodied by the characters Joseph and Maha, who have the task of recounting most of the events of the novel.

The researchers adopted the deliberative approach in the study of the novel through reading semantics and meanings, temporal and spatial indications and aids, and monitoring of interferences, dialogues and the pilgrim dimension, reference references to the writer's destination and text, as well as the use of descriptive analytic methods.

It was incumbent on us to present a theoretical framework for the concept of the deliberative approach and a brief presentation of its origin and development, and its applicability to the narrative text, which is included in the first part of the research.

Editorial: pragmatique, Destination, communication, context, Dialogue.

مقدمة

تعنى التداولية باللغة المنطوقة وهي نظرية تحاورية تعالج شروط التبليغ والتواصل, وتدرس الجانب الاستعمالي للغة وتبحث في معنى المحادثة, وتعد إحدى المدارس اللسانية التي اهتمت باللغة والنصوص الأدبية والخطاب معا, فنظرت إلى الخطاب بوصفه موضوعا خارجيا يحتاج إلى فاعل محدد ويقوم على علاقة تخاطبية.تنطلق الدراسة من تحديد إمكانية تحليل الخطاب الروائي ضمن المقاربة التداولية التي تهدف للتواصل والاتصال بقراءة الدلالات والمعاني, وتتركز عناية الدراسة في بيان

مدى ملاءمة المقولات التداولية لتحليل الخطاب الروائي عبر اكتشاف قواعد اشتغالها, وعن طريق توظيف آليات المنهج التحليلي الوصفي في دراستنا لرواية (يا مريم) للكاتب العراقي سنان أنطوان, تتحدد مشكلة البحث بالسؤال: هل نستطيع دراسة الخطاب الروائي على وفق المنهج التداولي؟ وتظهر أهمية البحث بوصفه إطلالة معرفية على النظرية التداولية والتواصلية في جانبيها النظري والإجرائي, وتتبدى أهدافه في إبراز النص الروائي مرجعا مناسبا للقراءة التداولية للسرد والمحادثة المتخيلين.

لم يكن اختيارنا لدراسة الخطاب الروائي تداوليا اختيارا عشوائيا إنما انطلقنا من نقطتين:الأولى: إن الخطاب الروائي يتشكل, أحيانا, في بنية حوارية تشبه إلى حد ما البنية الحوارية للكلام في الحياة اليومية, والثانية: ندرة الدراسات التداولية الإجرائية للنصوص السردية العراقية, بحسب علم الباحثتين؛ لذا إرتأينا تسليط الضوء على رواية يا مريم بوصفها أنموذجا للدراسة لاسيما أن هذه الرواية تحمل في بنائها بعداً تواصلياً وحجاجياً وتفاعلياً .

واجهت البحث صعوبات كثيرة من أهمها قلة المصادر العربية التي تتناول تداولية الخطاب الروائي, فضلاً عن عدم إطلاع الباحثتين على دراسة إجرائية لنص سردي تتبنى المقاربة التداولية، سوى دراسة الباحثة زينب عبد الأمير القيسي والموسومة بـ(المرأة في روايات جبرا إبراهيم جبرا دراسة في البنية التداولية السردية) ، إلا أن هذه الدراسة لم تخلص كلياً للمنهج التداولي وإنما تبنت مناهج عدة منها: المنهج الأسلوبي والمنهج الدلالي والمنهج البنيوي ونظرية غريماس، وقد بررت الباحثة ذلك بأن التداولية منهج مرن يتأثر بنوع الجنس الأدبي الذي يطبق عليه.

وتقوم الدراسة بعد هذه المقدمة على مبحثين اثنين تناول الأول الإطار المفاهيمي والنظري للتداولية عبر محاور عدة : المصطلح والتعريف، والبدايات والتطور، والتداولية عند العرب، والتداولية والسرد. أما البحث الثاني الذي أخذ مساحة أكبر من المبحث الأول؛ كونه عماد الدراسة وأساسها، فقد خصص للجانب الإجرائي والتحليلي، عبر محاور عدة هي: السياق، والمقصدية ببعديها التواصلي والتفاعلي، والحوارية. ثم ختم البحث بخاتمة تضمنت أهم ما توصلت إليه الباحثتان من نتائج .

المبحث الأول

التداولية المفهوم والنشأة والتطور

1-المصطلح والتعريف.

ليست التداولية علماً لغوياً يكتفي بوصف البنى اللغوية وتفسيرها، ويقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، وإنما هي علم جديد للتواصل يتناول الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال[1] ؛ لذا فالحديث عن مفهومها يقتضي الإشارة إلى العلاقات القائمة وبين الحقول الأخرى، فهي تمثل حلقة وصل مهمة بين حقول معرفية عدة، منها: الفلسفة التحليلية وعلم النفس المعرفي، وعلوم التواصل[2]. تعني لفظة (تداول) لغةً: التناقل والتحول، فقد وردت مادة (دول) في المعجم بهذا المعنى، يقال: تدولنا الأمر: أخذناه بالدول، وتداولته الأيدي: أخذته مرة بعد مرة، وقالوا: دواليك: أي مداولة على الأمر[3].

والتداولية اصطلاحاً: هي ذلك المصطلح العربي المقابل لمصطلح(pragmatics) الانجليزي, وهي تختلف عن مصطلح الذرائعية (الفلسفة النفعية) الذي هو ترجمة عن مصطلح(pragmatisme) الفرنسي, على الرغم من أن بعضهم يجعلهما مصطلحين مترادفين*، ويترجمه البعض الآخر إلى النفعية والذرائعية والمقامية والسياقية والوظيفية والتداولية, فالمصطلح متنوع التسميات، ولكن التسمية الأكثر شيوعاً هي التداولية, ويعد الباحثان (د.طه عبد الرحمن, ود.احمد المتوكل) أول من استعملا المصطلح في اللغة العربية[4], وتتبنى الباحثتان مصطلح التداولية في البحث؛ كونه المصطلح الأكثر شيوعاً واستعمالاً في الدرس النقدي واللساني، ولأنه أكثر دلالةً لمعنى التواصل والتفاعل والحوار.

تنماز التداولية بالشمول والتشعب؛ لذا يجد الباحثون صعوبة في وضع تعريف جامع ومانع لها، فهي" مجموعة من النظريات نشأت متفاوتة من حيث المنطلقات, ومتساوقة في النظر إلى اللغة بوصفها نشاطا يمارس ضمن سياق متعدد الأبعاد, وعلى الرغم من عدم الوضوح الذي يكتنف التداولية فان مجمل الأفكار والملاحظات والتساؤلات– التي لم تتمكن المدارس اللسانية والبنيوية منها من الإجابة عنها– قد وجدت سبيلها في هذا الاتجاه"[5], فهي تنظر إلى اللغة بوصفها" ظاهرة خطابية تواصلية اجتماعية, مكرسة لإنتاج المعنى والدلالة والعلامة في هذه الأطر"[6]. وهي "حقل لساني يطرح إشكاليات معقدة من حيث حدوده وفرضياته ومجالاته وأدواته, وهي بلا شك حقل ملتبس وغائم فيه كثير من التعميم والغموض"[7].

وتعنى التداولية بالتواصل وتتعامل مع المعاني التي أهملها علم الدلالة, وتحاول الإجابة عن الأسئلة, من يتكلم, ولماذا, وماذا يقول, وماذا نصنع عندما نتكلم[8], ولها تعريفات عدة, فعلى سبيل المثال, يرى(فيليب بلانشيه) "مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية وهي كذلك الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية الحديثة والبشرية"[9], ويعرفها الجيلالي دلاش أنها" تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم, كما يعني من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث"[10].

وعلى الرغم من اختلاف نظرة الدارسين إلى (التداولية) ، وتساؤلاتهم عن القيمة العلمية للبحوث التداولية وجدواها، فإن أغلبهم يقر أن مهمة التداولية هي معرفة القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الانسانية للتواصل اللغوي، لتغدو (التداولية) بذلك، جديرة بأن تسمى (علم الاستعمال اللغوي)[11] .

2-البدايات والتطور.

يرجع بعض الباحثين جذور التداولية إلى الرواقيين وأرسطو وأراء باركلي[12], فارتبطت نشأتها "بالحداثة الغربية التي اختلفت رؤيتها بين الشكلانيين الذين نظروا إلى اللغة على أنها ظاهرة عقلية والوظيفيين الذين رأوا فيها ظاهرة اجتماعية هذا التباين انسحب على العمل الأدبي، فتعصب البنيويون لموت المؤلف وأقاموا القارئ شاهداً حياً لإنتاج المعنى, ولم تكن التداولية

ببعيدة عن ردة الفعل ضد هذا الاتجاه والدعوة لإقامة المؤلف أو تسميته بالمتكلم كونه صانعاً للخطاب، وبذلك حولت المتلقي من منتج للمعنى إلى باحث عن قصدية المتكلم وما جر هذا على الدلالة من تغيير في وجوه المعنى، وبالمقابل فإن التداولية صانت نفسها عن البراجماتية كونها ممارسة فلسفية قيدت نفسها بها خلال تطورها، فأخذت استقلاليتها بوصفها حقلاً لغوياً بديلاً حين حددت وجودها العملي في معالجة الاهتمام بالمعنى"[13].

إن البحث التداولي وليد الثقافة الانجلو سكسونية لأنه تطور في أمريكا وانكلترا بسبب الاتجاهات التحليلية الفلسفية من جهة, وما خلفته النظرية التوليدية التشومسكية من إخفاق من جهة أخرى؛ لأنها نادت باستقلال التركيب عن استعمال اللغة, فظهرت اتجاهات لا تفصل اللغة عن مستعمليها, أي أنها أرادت أن تتجاوز البنية الصورية للكلام والاتجاه للمتكلم بكل نياته والى السامع بكل فهمه وتأويله[14]. وبعد تطورها على يد فلاسفة اللغة في جامعة اوكسفورد أي (سيرل(Searle)، واوستن(Austin), وغرايس(Grice)[15]، فإن بدايتها كانت غير تخصصية، تغذيها جملة من العلوم وأهمها الفلسفة؛ فمن الطبيعي إن تقترن العلوم في بدايتها بجملة من المعارف والأجناس وبعد أن تنضج تصبح جزءا مستقلا بنفسه[16].

ظهرت الدراسات التداولية في الولايات المتحدة الأمريكية في القرن(19), وتطورت بعد الحرب العالمية الثانية, فنشأت وتطورت عبر حقل الفلسفة, فكونت آراء فلاسفة اللغة إرهاصاتها الأولى[17], بدأ الاهتمام بها مع الفيلسوف الأمريكي (بيرس) الذي ربطها بالمنطق والسيمياء, وعدها البعد الثالث من أبعاد السيمياء, وهي عنده وسيلة لنقل الواقع والمعرفة ووسيلة للاتصال, بينما يرى الفيلسوف(موريس) أنها تدرس كيفية تفسير المتلقي للعلامات عبر البنى النحوية والتركيبية للكشف عن دلالات المتكلم ومقاصده في دراساتهم للغة الطبيعية, أي دراسة البعد العملي للمعنى لأجل جذب اهتمام الباحثين إلى أهمية تفسير المخاطبات الواقعة فعلا والأشكال العلاماتية المتداولة لذلك وصفت أنها فهم اللغة الطبيعية وبهذا استقلت عن الفلسفة البرغماتية التي كانت تعد الموجه والرافد الأساس لها[18].وقام الفيلسوف النمساوي (فيتغنشتاين) بإسقاط محور الفلسفة التحليلية على اللغة, فكانت بداية لتطورها, وتبنى عمله هذا فلاسفة مدرسة اوكسفورد إذ جعلوا حقل فلسفة اللغة العادية نواة لتأسيس التداولية[19].

تعد التداولية التحاورية من المدارس اللغوية الحديثة, وتدعى بلسانيات الحوار أو الملكة التبليغية, فالمقاربة التداولية تلك المنهجية التي تدرس الجانب الوظيفي والتداولي والسياقي في النص أو الخطاب، ومجمل العلاقات الموجودة بين المتكلم والسامع، مع التركيز على البعد الإقناعي وأفعال الكلام داخل النص[20]، فهي" دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل؛ ذلك أن صناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد مادي، واجتماعي، ولغوي وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما"[21].

3-التداولية عند العرب.

تعد التداولية نظرية غربية الأصول لكن علماءنا بحثوا عن جذورها العربية فوجدوا لها بعض الإشارات والبدايات في اهتمامات علماء النحو والبلاغة والنقد باللغة ومقتضى الحال ومناسبة السياق للكلام, وتبدو في جهود العلماء أمثال الجاحظ والجرجاني والسكاكي وغيرهم[22], ودرس الباحث(باديس لهويمل) علاقة البلاغة بالتداولية فرأى أن البلاغة تدل على الإبلاغ وتعالج" كيفية التأثير في الآخر وإقناعه وبيان المقاصد التي يهدف الباحث إلى تحقيقها وهذا يعد من صميم البحث التداولي"[23].

ويرى الباحث(هشام الخليفة) "أن العرب قد عرفوا التداولية بكل أبعادها، وكانت نظريتهم في هذا الإطار متكاملة، لكنها متناثرة في كتب أصول الفقه وكتب علماء الكلام واللغويين والبلاغيين(..) وأن المكتشفين الأوائل لها هم علماء الأصول"[24].

ويعد مصطلح المقام "من أبرز المفاهيم التي ارتبط استعمالها بالبلاغة(..) وأساساً منهجياً متينا لمباحث بلاغية كثيرة مثل:التقديم والتأخير، وأضرب الخبر، وأساليب التوكيد والنفي وغيرها، مما اعتبر أداة إجرائية عليها التعويل في تحليل النصوص وتأويلها(..) وفي الدرس اللساني المعاصر نال مصطلح المقام البالغ خاصة ضمن الاتجاه الوظيفي التداولي، وأخذ أبعادا أعمق في مسارات التحليل؛ في علاقة اللغة بالاستعمال وبالدلالة"[25].

تلتقي الدلالة مع التداولية في بحثها عن المعنى, ولكن تفرق عنها برأي سيرل في أنها"تبحث في كيفية اكتشاف مقصد المتكلم, ومن ثم فرق بين معنى المتكلم والمعنى النحوي"[26], وإذا كانت الدلالة تدرس المعنى" خارج إطار المقام, فان التداولية تهتم بما يرمي إليه المتكلم من معان تتجاوز المعنى الدلالي للكلمات بما يستدعي الإحاطة بالمقام أو المرجعية الثقافية للمتكلم والمخاطب معا"[27], ويرى (د. سعيد بحيري) أن" العلاقة بين المرسل والمتلقي التي حرصت البلاغة على إبرازها قد وجدت طريقها إلى نظرية الاتصال وبالتالي إلى التداولية التي عنيت بالسياقات المختلفة وأطراف الموقف التواصلي عناية كبيرة"[28].

4-التداولية السردية.

تعد التداولية نظرية استعمالية تدرس اللغة المنطوقة, وانتقلت من مجال اللغة إلى الأدب وعنيت بفهم الخطاب الأدبي انطلاقا من ارتباطه بالسياق والبعد التواصلي وعنيت كذلك بتحليل النصوص المتنوعة وتأويلها بوصفها منهجا نقديا[29], وبانتقالها هذا صارت تنعت بالتداولية الأدبية فأصبح موضوعها دراسة النصوص وتحليلها, وتنماز بالتعدد ولها علاقات مع نظرية القراءة والتواصل وتحليل الخطاب ونظرية أفعال الكلام. وشهدت, في مراحل تطورها, تغيرات عدة من وصفها نظرية لسانية لغوية إلى نظرية في السياقات تبحث في سياق الإنتاج والتلقي.

اهتمت التداولية بنوعيها اللغوي والأدبي بالنظر إلى اللغة والأدب على إنهما" رسائل اتصالية وتواصلية يجب أن يفهما في هذا السياق"[30], وينحصر اهتمام التداولية الأدبية في فعلي الانجاز والتأثير. ويرى (فان دايك) أن فكرة التداولية هي انجاز بعض الأفعال المجتمعية في أثناء الكلام فأهميتها عبر الاتصال[31], ويعدها دايك من أهم أعمال النظرية التواصلية إذ "إنه وضع

تخطيطاً من ناحية البرنامج للذرائعية الأدبية بوصفها مكملاً لا فكاك عنه لنظرية النص"[32]. وقد عارض(د. سمير الخليل) التداولية السردية في رده على إحدى الدراسات التي تعرضت لها[33],

تبحث التداولية في إمكانات التأثير الاتصالية للنصوص وشروطها؛ لأن النص"يستند إلى فعاليات اتصالية عملية مرتبطة بالعوامل الاجتماعية"[34], ويتواصل الكاتب الروائي في نصه لا على أساس الجملة الواحدة بل على النص كله بوصفه بنية متماسكة دلالياً, وترتبط نصوص الاتصال" بدوافع اجتماعية راسخة, تتطلب التعبير عن الموقف النفسي للباث ولذلك فإن وظيفة الاتصال مقرونة في الغالب بتلك المواقف لا الموضوعية مثل: حزن, أسف, سر, سعد.الخ. الفيصل في ذلك ليس التعبير عن الإحساس في حد ذاته بل وفاء الباث بتوقع اجتماعي"[35].

تركز التداولية النظر على" المستعمل والمتلقي في اتجاهين يحيل أحدهما إلى العلاقة خارج النص, إذ تمثل علاقة العلامة بالمؤلف الحقيقي مما تنفي نظرية موت المؤلف وبالكشف عن مقصديته وعلاقتها بالمتلقي الذي يعيد إنتاج النص بالكشف عن الدلالة والتأويل خارج تلك المقصدية ويحيل الاتجاه الآخر إلى علاقة العلامة داخل النص بالمؤلف والمتلقي الضمنيين"[36], وتعنى التداولية السردية " بمسألة العلاقات بين المؤلف (الراوي) والشخصيات المقدمة وأحداث القصة, ومن خلال مفهوم سردي تداولي وهو الوظائف– وظائف الراوي ووظائف الشخصيات"[37].

تظهر إشكالية التداولية بوصفها منهجا نقديا في" أن الوصف التداولي المؤسس للقصة مقام على الادعاء بان كاتب القصة يتظاهر بانجاز أفعال الكلام, فهو يختلق قصة حينما ينسب ما يكتبه إلى متحدث أخر, الأمر الذي يعني أن الكاتب ينسب انجاز أفعال كلامه إلى متكلم غيره يختلقه, ومن عملية الاختلاق والنسبة هذه نستنتج أن كل نص قصصي يتجسد في سياق يتضمن متكلما ومستمعا قصصيين. وبالمقابل فان الكاتب والقارئ الحقيقيين من جهة أخرى ليسا جزءا من هذا السياق وهما بذلك لا يتفاعلان مع بعضهما على المستوى التواصلي"[38].

في السرد تكون أفعال الكلام" المتظاهر بها هي حقيقية وقصصية في الوقت نفسه, وإن هذه التعددية في أفعال الكلام تنتهك مبدأ البساطة, وإذا كان الراوي على العكس من ذلك قصصيا فلا حاجة إذن لأفعال الكلام المتظاهر بها"[39], يتمثل حضور المتكلم صوتا في القصة" إذا كانت القصة مكتوبة بضمير الشخص الأول فهناك عادة متكلم يشير إليه السرد ب(إنا) لكن حضور المتكلم ليس واضحا دائما. إن حضور المتكلم في القصة يمكن أن ينكر برفض الوظيفة التواصلية للغة (..) إن للغة وظيفتين منفصلتين هما التواصلية والتعبيرية. وفي القصة جمل تضمحل فيها الوظيفة التواصلية, وتظهر الوظيفة التعبيرية فقط"[40], وإن البنية التداولية للقصة هي "العلاقات بين كل مستخدمي اللغة في النص لاسيما بين الكاتب والمتكلم والسامع القصصيين من جهة وبين القارئ والسامع غير القصصيين من جهة أخرى"[41], وإن المتكلم والسامع يمكن استبدالهما قصصيا بالكاتب والقارئ" ويأخذان بعد ذلك موقعيهما بدلا منهما في فعل التواصل"[42].

يعد التحليل التداولي الإجرائي في الخطاب الروائي أمرا معقدا نظرا لعدم وجود نظرية تداولية متكاملة ومحكمة الأطراف بإمكاننا أن نعتمدها في تحليلنا للخطاب الروائي على غرار النظرية البنيوية والسيميائية السردية والأسلوبية وغيرها[43], فيواجه الباحث, عند تطبيقه, التداولية إجرائيا, صعوبات عدة منها اختلاف حوار النص الروائي عن الحوار الواقعي واليومي في سياقه التداولي والواقعي, وأيضا لتمرد الأدب عن المعيار واتسامه بالتخييل والانزياح، وبعده عن الحقيقة والصدق الواقعي باعتراف التداوليين من أمثال سيرل وأوستين[44].

المبحث الثاني

الجانب الإجرائي والتحليلي

تبدو قيمة البحث التداولي في كونه يسعى إلى الإجابة عن بعض الطروحات اللسانية السابقة وهي : من يتكلم؟ ومن هو المتلقي؟ وما هي المقصدية؟ وكيف نتكلم بشيء ونسعى إلى قول شيء آخر؟ وغيرها من الطروحات التي تخص عملية التواصل وتحديد المقصود .

اهتمت التداولية بدراسة القرائن والسياقات اللغوية والظروف الاجتماعية والثقافية والتاريخية، كتوافر السياق وفضاء التواصل ومقام الخطاب والمعينات الإشارية (القرائن السياقية)، والقصدية الكامنة وراء الخطاب , وهو ما سيتم توضيحه على النحو الآتي:

1 - السياق

تحمل لغة النص الأدبي أبعاداً سياقية وتداولية، فهي لا ترد بشكل عشوائي بل تزخر بمجموعة من الدلالات المضمنة إقناعاً وتأثيراً ، فلا يوجد في النص ما هو زائد ، فكل ما يحمله له وظائف سياقية متنوعة سواء أكانت نصية داخلية أم مقامية خارجية .

ويقصد بالسياق مجموعة العوامل والظروف الخارجية المصاحبة لإنتاج العمل ويدعى ذلك بالسياق الخارجي، وعلى الرغم من اختلاف الخطاب الأدبي في مستوى ارتباطه بالواقع وحضور عناصر المقام فيه عن الخطاب الإبلاغي أو التواصلي، فإن هذا الأمر لا يمنع أن يكون لبعض النصوص الأدبية سياقها الخاص الذي يمكن إحالتها إليه .

ويظهر السياق والمرجع في رواية (يا مريم) بوضوح عبر القرائن والمعينات الاشارية التي تحمل آثار السياق الذي كتب فيه النص ، ويبدو واضحاً من تأثر الكاتب بالأعمال الإرهابية الحاصلة في الواقع ولاسيما حادثة تفجير كنيسة النجاة وتأثيرها في نفسيته كونه من الديانة المسيحية ، ومن ثم تأثير ذلك في العالم الذي أراد تحريك مشاعره بوساطة التعبير الروائي عن هذا العمل الإرهابي وأثره في الآخر المختلف عنه إثنياً .

فالكاتب يفترض ملامح قارئ معين استحضره في ذهنه ، يشاركه في المراجع التي يحيل عليها في روايته ، وذلك عبر الحوادث والوقائع التاريخية التي وثقتها الرواية بوصفها أحداثاً مؤثرة في تاريخ العراق المعاصر ، وتحديداً في ما يخص الديانة المسيحية [45].

تسير أحداث الرواية على وفق ثنائية (الحاضر والماضي) ، أو (الحرب والسلام) و(التفاؤل والتشاؤم) التي ارتسمت في وعي الشخصيات (يوسف) و(حنّة) وحنينهما إلى الماضي على الرغم من اختلاف طريقة تفكيرهما، و(مها) التي لا ترى في حاضر البلد وماضيه سوى الموت والقتل والخطف، وأن (يوسف) يعيش في الماضي، فهو شخصية امتدت حياتها لعقود عدة شهدت تحولات سياسية واجتماعية كبيرة في العراق وعاصر أكثر من حكومة[46].

القرائن السياقية

يضمن الكاتب عمله بعض المعينات والقرائن السياقية التي تحيل إلى السياق المكاني والزماني، وترسم فضاء التواصل لروايته .

فالمكان ليس الموقع الجغرافي، فحسب، بل هو الذي يؤطر عوامل التواصل داخل المتخيل السردي، وهو وسيلة للكشف عن مشاعر الشخصيات[47], فاستعمل الكاتب في روايته فضاءً واقعياً في السرد لإيهام قارئه بحقيقة ما يقرأ ، لتوثيق جسور التواصل بينهما، فيمثل المكان (العراق) بالنسبة لشخصية (يوسف) علاقة حب وانتماء، رافضاً الهجرة وترك بلده وحيه (الكرادة) وبيته الذي عاش فيه نصف قرن، متشبثاً بخيوط الأمل وبذكريات ماضٍ سعيد لا يوجد إلا في ذاكرته هو . أما بالنسبة لشخصية (مها) فالعراق هو مكان للموت والقتل ولا تشعر بالانتماء له ؛ بسبب العنف الطائفي الذي عصف بحياتها وعائلتها وفرقها عنهم وعن بيتها، لتعيش غريبة لاجئة في بلدها ونزيلة في بيت (يوسف) ، تنتظر موعد الهجرة هي وزوجها. فنفور (مها) من بلدها ومنطقتها (الدورة) قدمه الكاتب عبر السياق والمعطيات الخارجية الحاضرة في ذهن القارئ والمتلقي –الذي عاش تلك الأحداث وقاسى منها الويلات- ليحمله على التعاطف والتفاعل معها .

تدور أحداث الرواية في يوم واحد ، هو يوم (2010/10/31) ، وفيه تتقاطع سرديات ذاكرة الشخصيات، لتعود بنا إلى أزمنة بعيدة وقريبة تركت ملامحها وآثارها على كل شخصية.

هذا اليوم هو اليوم الذي يحضّر فيه (يوسف) في الكنيسة لإقامة قداس لأخته المتوفية (حنّة) وما سبقه من تحضيرات واستعدادات, وتنتهي الرواية بموته في اليوم نفسه في الاعتداء الإرهابي الذي طال الكنيسة, أما باقي الأحداث المروية فيها فتخضع للزمن الماضي عبر عمليات الاسترجاع والاستذكار عن طريق مشاهدة الصور المعلقة في البيت, ومن ثم ينهال شريط الذكريات على الراوي, ففي الحوار يتساوى زمنا السرد والواقع معا مما يسهم في إضفاء المسحة الواقعية على الخطاب السردي, فلا يسير الزمن الروائي بطريقة التتابع بل تتخلله دائما الحوارات الحالية بين الشخصيات المتحاورة التي تقطع استذكارات الماضي التي يرجع بعضها إلى عام1930, والى طفولة يوسف تحديدا, فالتاريخ المسرود عنه هو مجرد إطار لعملية التفاعل والتداخل بين الماضي والحاضر, وان زمن الرواية هو زمن واقعي, فليس الغاية من السرد تسجيل الأحداث الآنية أو التذكير بالأحداث الماضية بل تسجيل ما يؤثر في عملية التفكر والتفاعل والتواصل بين الكاتب والمتلقي, وهدفه من ذلك إشراك الآخر وتفاعله مع مواقف الأنا بحضور الأبعاد الإنسانية لأجل اطلاع الآخر على قناعات تلك الأنا ومواقفها.

2 - **المقصدية**

اهتمت الدراسات التداولية بداية بالمتكلم بوصفه القوة التي تمتلك سلطة متفوقة وعليا توجه خطابا للمتلقي، فبحثت في مقصديته[48], منطلقة من قاعدة (لا نص بدون مقاصد) ، وعند البحث عنها هنا نجد أن الكاتب تعرض في عملية السرد وحوارات شخصياته إلى ثيمات عدة, مثل مسألة الأقليات وحقوقهم في المجتمعات المتنوعة, وموضوعة التفرقة العنصرية والدينية, والعلاقة مع الآخر, وآثار الحروب والصراعات, فضلا عن قضية الهجرة, وغيرها.

تقوم الرواية على سرد مجموعة من الأحداث المقدمة من شخصيات تربط بينهم علاقات تدفعهم إلى فعل برنامج حكائي معين, والملاحظ من البنية السردية للرواية أنها تسرد حادثة انفجار كنيسة (سيدة النجاة) على يد العصابات الإرهابية, وتروي واقع العراق المؤلم عبر مسيرة الأنظمة الحاكمة التي مرت عليه وعن طريق استذكار الأبطال لماضيهم, ورواية الصراعات السياسية والداخلية, والأحوال الاجتماعية والظروف الاقتصادية المعيشة في مراحل تاريخ العراق المعاصر, فهدف العمل الروائي كسب تأييد الآخر أو التأثير فيه أو توجيهه نحو دلالات معينة في النص بوسائل الإقناع والتأثير والإمتاع, ويأتي الإقناع عبر الحجاج بين المتحاورين, والحجاج هو" آلية حوارية تداولية تنظيمية تدير الخلاف في إطار تناوب حواري تعاوني تخضع فيه الحجج للنشاط الكلي للفعل اللغوي لتنتهي إلى الوفاق وتقوية الإجماع"[49], وهو ما تقوم عليه رواية (يا مريم) فهي تنبني على منطقين مختلفين تماماً : منطق متعصب متشائم، ومنطق معتدل متفائل .

ويبدو أن الكاتب كان على درجة من الذكاء عندما قدم المنطقين بموضوعية تامة دون تدخل مباشر منه، مانحا القارئ الفرصة لاختيار المنطق الذي يريده هو (أي الكاتب) عبر اعتماده أسلوب (البعد الحجاجي) ** في الحوار والسرد، فعلى وفق هذا المبدأ لا يقتصر أصحابه على "تقديم حجج تدعم أطروحة أو تدحضها ، وإنما يرون أنه من الممكن النظر إلى الحجاج من زاوية أوسع وفهمه بوصفه خطة تستهدف التأثير في رأي شخص ما وفي موقفه وحتى في سلوكه وهي خطة تتوسل إلى التأثير بأدوات الخطاب وحدها "[50]فعلى كثرة الحوارات والحجاجات بين (يوسف) و (مها)، أو بين (يوسف) و(حنّة) التي يقدمها الكاتب بموضوعية تامة ومطلقة ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، حوار (يوسف) وأخته (حنة) حول (سورة مريم) في القرآن الكريم , والأناجيل التي لا تعترف بها الكنيسة, بقوله:

"أخذت حنة تدمدم كعادتها عندما تسمع ما لا يروق لها:
" هاي قصة النخلة منين جابها محمد؟ ما كو هكي شيء بالإنجيل"
" اكو بس مو بالإنجيل اللي أنتي تقرين بينو"
كنت قد قرأت قبل فترة عن الأناجيل الضائعة وتلك التي لا تعترف بها الكنيسة وأثارتني المعلومات التاريخية. سألتني باستغراب:"لعد يا أنجيل هذا؟ "
" هاي قصة النخلة ويسوع اللي يحكي بالمهد موجودة باثنين من الأناجيل اللي ما قبلت الكنيسة تعترف بيه"
" اشو أنا ما كن سمعتو بيه ؟ "
" أي طبعا.خومو راح يقلولكي بالكنيسة عالانجيل اللي ما كن اعترفو بيه أصلا"
"لو أناجيل صدق كان سمعنا بيه من زمان "
" ليشم مو صدق يعني ؟ قصص عن حياة يسوع, حالها حال بقية الاناجيل . حتى اكو أنجيل كتبه يهوذا وانجيل مريم المجدلية"
" انجيل يهوذا؟ هاي شلون حكي هذا ؟"
"هذا تاريخ موجود, بس الكنيسة ما تريد يطلع "
" وأنت شنو كرايتك ويا الكنيسة؟ ما تقلي؟ أنت لا تروح عالكنيسة ولا عليك بالكنيسة.خليها بحالها"
"يالله خلص لا تزعلين. يعني خلي مريم العذرا تأكل تمر. شنو المشكلة ؟")) [51].

إذ يدل الحوار على الانفتاح والموضوعية في النظر إلى الأمور من جانب شخصية يوسف في مقابل الانغلاق والتعصب من شخصية أخته حنّة, ومنها أيضا حواره معها حول زوجة (طارق عزيز)[52] , وحواره مع (مها) حول إعدام طارق عزيز[53]. نقول على كثرة تلك الحوارات والحجاجات المنطقية والموضوعية ، إلا أن القارئ يمكن أن يستشف مقصدية الكاتب عبر تتبع أفعاله الكلامية الحاملة على الإقناع والاعتقاد بما يريد هو، التي يمكن تشخيصها بالآتي ***:

– **عنوان الرواية الاستغاثي (يا مريم)**

فالعنوان بوصفه "أعلى اقتصاد لغوي ممكن، وهذه الصفة على قدر كبير من الأهمية " إذ إنها – في المقابل- ستفترض أعلى فعالية تلق ممكنة "[54], ولاسيما أن عنوان الرواية يحمل انفعالاً واستغاثة تحيل المتلقي إلى نهاية الرواية (حادثة الاعتداء الإرهابي على الكنيسة) ، والعكس صحيح فإن آخر كلمات في الرواية تصف موت البطل (يوسف) في حادثة الكنيسة وآخر كلمة رددها (يا مريم) تحيل إلى عنوان الرواية الذي غدا معادلاً موضوعياً لمقصدية الكاتب والنص .

– شخصية (يوسف) غير المتدينة أو المتعصبة والمنحازة ، وعدم ارتباطه بالكنيسة سوى في المناسبات والأعياد ، إذ يقول: **" كنت أذهب إلى الكنيسة في الأعياد والمناسبات فقط . وكانت حنّة قد فقدت الأمل منذ عقود في أن أُكْمِل يوم الرب ، كما جاء في الوصايا العشر ، لكنها كانت تنتهز كل فرصة عابرة لتذكيري بأني مقصر في واجباتي الدينية . ولم يشفع لي ، أو يقنعها ، قولي لها مازحاً ، أكثر من مرة ، بأنها تذهب بالنيابة عني . وبما انها تذهب كل يوم فهي تصلي بما يعادل سبعة أشخاص ، ويحق لها أن تنتخب ستة آخرين تصلي بالنيابة عنهم . كانت تنظر إليَّ بطرف عينيها عندما أتفوه بأقوال كهذه ثم تهز رأسها وتعود إلى صمتها** ."[55]، فضلاً عن موضوعيته المطلقة وعدم انحيازه لطائفته ودينه ، وتفاؤله الكبير برغم قسوة الاوضاع ومأساوية الواقع ، ومفارقة موته في حادث الإعتداء الإرهابي على الكنيسة بسبب حضوره قداس أخته (حنّة) . كل هذا كان له بعد أنساني حمل الآخر على التعاطف الكبير مع ضحايا الحادث ، فضلا عن تعزيز منطق (مها) وتقويته .

– إنحياز (يوسف) لتاريخ الديانة المسيحية وردّه الموضوعي على رأي (مها) بأن المسلمين يريدون البلد لهم فقط : **" شنو إلهم ؟ البلد بلد الكل ، وبلدنا وبلد أجدادنا ، إحنا قبل غيرنا . التاريخ يثبت ... من زمن الدقناووس . من الكلدانيين للعباسيين للعثمانيين وتأسيس الدولة العراقية . المتاحف تشهد . إحنا موجودين قبل غيرنا . إذا مو بلدنا لعد بلد منو؟ ما تقليلي؟))**[56] . فهذا الكلام لو جاء على لسان شخصية منحازة مثل (مها) لما حاز على تعاطف المتلقي .

كما أن وصف يوسف للكنيسة - قبيل لحظة الحاث- وأجوائها وطقوسها ومراسيم القداس عبر مونولوجه الداخلي : " **بالرغم من أنني لم أكن مواظباً على الحضور إلى الكنيسة ، إلا أنني كنت أحب جمالياتها وأطرب لطقوسها وتقاليدها العريقة ، خصوصاً إذا كان صوت الشماس أو الكاهن رخيماً . فقد كان للتراتيل والبخور والأجراس وملابس الكهنة المزركشة والابتهالات وقع في روحي . ربما لأسباب مختلفة عن معظم المصلّين . كان يخيل إلي أن صوت الكاهن ، خصوصاً عندما يرتل بالآرامية أو السريانية ، قادم من الماضي السحيق ومن البدايات الغامضة . وكنت أرى القداس احتفالاً بالحياة ، بالولادة والموت والبعث ، ليس للمسيح وحده ، بل للجميع . أتخيل المسيح شجرة مقدسة لا تموت مهما اقتلعتها العواصف وجرفتها الطوفانات . شجرة تعود إلى الحياة كل ربيع.**"[57] , أظهر نظرته الفلسفية والشاعرية لطقوس الكنيسة، إذ قدمها الكاتب بأسلوب يستميل القارئ ويجذبه، ومن ثم تحويل موقفه السلوكي تجاه المعتقد الآخر على أرض الواقع .

– في الفصل الرابع (الأم الحزينة) الذي يسرد على لسان الراوي الأنا (مها) تتضح للمتلقي أبعاد منطقها السوداوي والمتشائم عبر انثيالاتها وسردها، فمنطقها ليس ردة فعل للظروف الطائفية الأخيرة التي مر بها البلد ، وإنما جاء عبر تحولات وأحداث مهمة في حياتها، منطق له جذور في ماضي الشخصية، لاسيما حادثة اختطاف خالها وقتله عندما كانت طفلة [58] ، وحادثة إغلاق محل والدها مصدر معيشتهم في عقد التسعينيات إبان الحملة الإيمانية التي أمر بها صدام حسين [59] ، ومن ثم حادثة

تهجير أهلها من بيتهم ومنطقتهم الدورة[60] ، وحادثة تفجير بيت أهلها بعد رجوعها هي وزوجها للسكن فيه وموت طفلها[61]، وهي الحادثة الأكثر تأثيرا في الشخصية وفي المتلقي أيضاً .

– تعاطف (يوسف) مع (مها): " **ربما لم أكن حساساً بما فيه الكفاية بخصوص ما حدث لهم في الدورة**))[62]، واعترافه أنه قسى عليها بموضوعيته:" **ولا أعظم من عذاب الأم . أخذت أفكر بمها وبعذابها . لعلني قسوت عليها كثيراً بكلامي وموضوعيتي**"[63]. فهو يربط عذاب (مها) بعذابات العذراء، كما أن حوار (يوسف) مع صديقه (سعدون) المسلم وردّ الأخير له عندما أخبره يوسف عن خلافهما ونقاشهما يقوي من موقف (مها) ومنطقها، ولاسيما حديثه عن (الأم الثكلى): "**حقها ليش تلومها ، حالها حال مثل هالآلاف المؤلفة اللي طلعت . خليهم يطلعون يجربون . هم بيهم حيل والعمر كدامهم . مو هي هاي اللي سقطت البجر؟**"

"**إي هيّ .**"

"**إي خطية ، هاي كلبها محروك . تره كلب الأم غير شكل . بعدين هاي ثكلى بابا.**" [64].

– تمثل كلمة (مها) للفضائية بعد نجاتها من حادث الاعتداء الإرهابي على الكنيسة – حسب استقراء الباحثتين - هي الثيمة التي بُنِيَت عليها مقصدية الكاتب ، وهي الغاية التي من إجلها صدر الخطاب، إذ تقول في نهاية سردها لتفاصيل الحادثة:" **إحنا مستهدفين . يريدون يطلعونا من البلد؟ يقولون علينا صليبيين وإحنا متعاونين ويّ الاحتلال وكذا . وهذا كلّه كذب وتزوير للتاريخ ما إله أساس . إحنا ماجينا عالدبابات من الخارج مثل كل هذوله اللي يزايدون على وطنيتنا . إحنا ما يدعمنا أحد . لا إيران تدعمنا ولا السعودية ولا أمريكا . وأمريكا ما ساعدتنا . بالعكس ، وضعنا صار أسوأ . إحنا بالآخر ما عدنا غير الله وإيماننا بس . وإحنا ما جينا من برا . إحنا موجودين هوني صار لنا قرون . وخلي يسمعون الناس. التاريخ يشهد وحتى الآثار تشهد . أديرتنا وآثارنا موجودة . ومو بس بالشمال . بكل مكان بالعراق . حتى بالنجف أكو دير وآثار كنائس وبكربلاء وبالناصرية أكو أديرة . إحنا ما كنا يوم طامعين بحكم أو شي . ومو إحنا اللي سرقنا وقتلنا وحرقنا . إحنا بس نريد نعيش بسلام . ديننا دين السلام . وهذا كل اللي أريد أقوله.**"[65] ، فهذه الكلمات هي الرسالة التي أراد إيصالها الكاتب عن وضع الأقلية والديانة المسيحية لحمل الآخر على التعاطف معهم وتغيير موقفه السلوكي إزاءهم .

تتلخص مقاصد الكاتب : بالتواصل والتفاعل, فيعد عنصر التواصل من أهم مقاصد الكاتب، إذ ركزت التداولية على الجانب الاتصالي وعلى سمة الأدب الاتصالية، أي علاقة اللغة بمستعمليها، انطلاقا من إن دراسة الأدب لا تكتمل من دون الأخذ بالحسبان توظيف الأدب لمصادر الإتصال المختلفة ، ويعرف الإتصال الأدبي على " أنه نشاط مشترك بين القارئ والنص ، بحيث يؤثر أحدهما في الآخر في عملية تنظيم تلقائية"[66] . والتواصل في المتخيل الروائي لا يشبه التواصل الحقيقي الذي يطلب فيه المتكلم من المخاطب عمل شيء ، وإنما يقصد الكاتب تقديم المعارف عن موضوع معين وهو تواصل إخباري، أو تقديم مشاعر وأحاسيس حول قضية معينة وهو تواصل تعبيري وتفاعلي, ورواية (يا مريم) جاءت محملة – لاسيما في حواراتها- بجملة من الغايات والمقاصد وضمن سياقها الثقافي والاجتماعي والتاريخي الذي كتبت فيه ، ذلك أن التواصل تحقق بين الرواية وكاتبها من جهة والقارئ من جهة أخرى عن طريق المخزون الثقافي والمعرفي والفكري ، والموروث الحضاري والقواعد السياقية المرتبطة بالذات والثقافة والمجتمع المشتركة بينهما .

وتظهر تفاعلية الرواية عبر فاعلية التناصات التي لم تُضمن بشكل عشوائي، ولم تكن غايات لذاتها ، بل زخرت بالدلالات السياقية والتداولية، ولتحقق غايات تواصلية تفاعلية وإقناعية وتأثيرية.

وهي تظهر عبر انفتاح السرد عوالم الشعر الفصيح والتراتيل والأناشيد ، إذ تؤدي الأبيات الشعرية المجهولة القائل عن (الأم الثكلى) على لسان (سعدون) وظيفة تأثيرية تعزز وتدعم منطق (مها) السوداوي والمتشائم ، وتوطد علاقة المتلقي بها وتستدر عطفه :

" يا فرحة القلب والأحشاء والكبدِ
يا ليت أمك لم تحبل ولم تلدِ
لما رأيتك قد أُدرِجت في كفنٍ
مطيباً للمنايا آخر الأبدِ

.....
أيقنت بعدك أني غير باقيةٍ
وكيف يبقى ذراع زال عن عَضُدِ؟"[67].

واستطاع الكاتب أن يسمو بأوجاع شخصيته (مها) ويجعلها وجعاً إنسانيا ، عبر تناصاته لتراتيل فيروز ، ولاسيما وصف الشخصية لهذه التراتيل:((**صوت فيروز جوقة ملائكة يلملمون مزق روحي ويخيطونها . ثم يحتضنوني ويصطحبونني معهم إلى بستان الأحزان الأزلية حيث يتبلل كل شيء بالدموع . ولاأشعر بحاجة لأن أقول شيئاً لأحد أو لنفسي . ففيروز هي التي تحكي وجعي وتترجم الشوك الذي يكلل قلبي وقلب كل شيء**))[68] فهذه التراتيل تحكي وجع الأم الحزينة، الأم الثكلى، تراتيل تكشف عن أبعاد أعمق لشخصية العذراء وما تمثله للموجوعين :

" أنا الأم الحزينة وما من يعزيها،
فليكن موت ابنك لطالبيها ،
أم يسوع قد بكت فأبكت ناظريها،

لهفي على أمة قتلت راعيها،
ناح الحمام على تشتت أهليها ...
تعالوا إلى مريم أمّه نعزيها "[69]
" وا حبيبي وا حبيبي ، أي حالٍ أنت فيه؟
من رآك فشجاك ، أنت أنت المفتدي ،
يا حبيبي أي ذنبٍ حمّل العدل بنيه؟
فأزادوك جراحاً ليس فيها شفاء،
حين في البستان ليلاً سجد الفادي الإله،
كانت الدنيا تصلي للذي أغنى الصلاة ،
شجر الزينون يبكي وتناديه الشفاه،
يا حبيبي كيف تمضي ؟ أترى ضاع الوفاء؟ "
" حبيبي يا ولداه خاطبني !
كيف أراك عريان ولا أبكيك يا ابني؟
أوجاعك حرقت أكبادي،
آلامك خرقت فؤادي،
أحياة لوالدتك يا ولداه بعد موتك؟"[70].

كما أن منطق (مها) المتشائم جعلها تتناص (تستمع) فقط إلى (الأم الحزينة) و(واحبيبي) و(قامت مريم) ولا تستمع إلى بقية التراتيل التي تبشر بالقيامة والأمل[71] ؛ لأنها كانت تنطلق من فكرة مفادها :" **ابن الله كان يقوم كل عام ، لكن ابن الإنسان ، ابني أنا ، غرق في الموت حتى قبل أن يولد، ولن يقوم منه أبداً** "[72] ، وهذا هو منطق الرواية المتشائم الذي يمثل صرخة واستغاثة من الموت المجاني .

وفي كل تلك التناصات أراد الكاتب الخروج من دائرة الصوت الواحد والذاتية إلى الانفتاح على الآخر ، ويعطي لقضيته (وضع الأقلية المسيحية في العراق) بعداً إنسانيا أعمق.

وفي مواضع آخر وظف الكاتب التناصات بصيغة السخرية والتهكم ولاسيما في ما يخص موضوع الطائفية في العراق ، عن طريق شعر الجواهري :

"**أي طَرْطَرا تطَرْطري ، تقدمي تأخري ، تشيَّعي تسنَّني ، تهوّدي تنصّري ، تكرّدي تعرّبي.**"[73].

وتبدو تواصلية الرواية وتفاعليتها أكثر وضوحاً في الكلمة الإفتتاحية التي تضمنها الفصل الرابع وهي أسلبة لسورة مريم الآية/ 25 ((وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا)) ، إذ ربط الكاتب أحزان الأم العراقية الثكلى بأحزان مريم العذراء:

"هزي إليك جذع هذه اللحظة
تساقط عليكِ
موتاً سخياً "

"مريم العراقية" [74]. مريم العذراء هي رمز لوجع الأم العراقية التي يتساقط عليها الموت كل لحظة .

3 - الحوار والحوارية

يعد الحوار وسيلة إبداعية وتقنية جمالية لإحداث الوهم بالحضور والواقعية في نفسية المتلقي, وهو" جزء مهم في تكوين الشخصية ورسم الحدث وإنارة للحظة التأريخية التي يضطلع بها العمل القصصي "[75] ، ويقوم الحوار في بعض الأحيان مقام السرد والوصف لاسيما في الروايات التي يحتل الحوار مساحة كبيرة منها إذ يبلور الشخصية والموقف أمام المتلقي ولا يحتاج لأي تعليق من الراوي[76] .

ورواية (يا مريم) من الروايات التي بنيت على الحوار، إذ اعتمد الكاتب الحوار ليترك للشخصيات حرية التعبير عن مواقفها وآرائها مما يضمن بوليفينية السرد، فاستطاع عبر حوارته أن يعبر عن حالات التناقض والاختلاف في التفكير والحالات النفسية والاجتماعية للشخصية العراقية (المسيحية) . فتدور أغلب الحوارات حول الوضع الإنساني والاجتماعي والنفسي للشخصيات المتحاورة في ظل ظروف الحرب والإرهاب والشعور بالإغتراب والنفي داخل الوطن ، وحالات التناقض في ردود أفعال الشخصيات لكل ما يجري حولها من أحداث ، كما في حوار (يوسف) و(مها) حول إعداد وزير الخارجية السابق (طارق عزيز) ، إذ يعكس حوارهما فكر وايديولوجية كل منهما تجاه الموضوع ، فترفض (مها) مسألة إعدامه لأنه مسن ومريض ولم يرتكب الجرائم, وترى انه اعدم لأنه مسيحي, وان الإرهابيين الذين يستحقون الموت هم من أعدموه وهم أحرار الآن, بينما يرفض (يوسف) رأيها لأنه يرى انه اعدم لأنه مشترك بجرائم البعثيين لا بسبب الدين, ولكي يبرهن صحة كلامه يذكر أن عدد الذين اعدموا من المسلمين كانوا أكثر من المسيحيين[77], فجسد يوسف في حواره النظرة الموضوعية والعقلانية للأحداث, والبعد المعرفي الصائب تجاه المواقف والقضايا, بينما جسد كلام مها ورأيها النظرة المتشائمة والأحادية على الموضوعات, فنراه بقوله:

" لو كان من جماعتهم ما كان عدمونو, بس طبعا, لأنه مسيحي, دمه رخيص"
فأجبتها بهدوء"ليش اللي انعدموا قبله شكانوا؟ كلتهم إسلام. هذا أول وأخر مسيحي ينحكم إعدام"

" عيني قيعدمونا بكل مكان بلا محكمة وما حد يحكي .الكنايس قتنحرق والناس قتتهجر وقيذبحون بينا يمنه يسره"
"مو بس كنايس قتنحرق بنتي .الجوامع إلي انحرقت أكثر بكثير, والإسلام اللي انقتلوا عشرات الآلاف"
" أي يروحون يقتلون بعضهم بعض, ويخلونه بحالنا. أحنا شعلينا؟ "
" مو قصة علينا لو ما علينا بس دولة ما كو والأقليات ما حد يحميها غير الدولة القوية. أحنا لا عدنا حزب ولا مليشيا ولا بطيخ "(..)
" ...راح يظلون ورانا ورانا يريدون يطلعونا مثلما طلعوا اليهود. منو طلعهم ؟ ليش راحو؟"
" بابا موضوع اليهود غير شكل. موضوع معقد. دخلت بينو إسرائيل عالخط وحكومة العهد البائد كانت متآمرة وصار إسقاط جنسية وقصة طويلة عريضة "
خرج زوجها عن صمته الذي لم يكن حياديا البتة, قائلا:" بس مو بس إحنا عمو. الصبة هم خطية واليزيديين بالشمال. شوف شصار بيهم . الإسلام ما قيخلون احد"
أضافت مها:"هو دين انتشر بالسيف. شتتوقع يعني ؟"
فقلت لها:" ليش الدين المسيحي شلون انتشر؟ بالحكي وبالعيني واغاتي؟ لو مو هذا الإمبراطور الروماني إلي نسيتو أسمو إلي صار مسيحي, ما كان انتشر بسرعة. وبعدين لمن كانوا يدخلون مدينة, اللي ميصير مسيحي ينقص راسو, لا جزية ولا هم يحزنون. والحروب الصليبية وفتح أمريكا الشمالية والجنوبية انذبحوا بيها عشرين مليون بمباركة الكنيسة"))[78].

تدور أغلب الحوارات في الرواية بين (يوسف) و(مها) أو بين (يوسف) و(حنة) وتأتي أغلبها في صيغة النقل أو الحوار المباشر ليترك للشخصية حرية البوح برأيها من دون تدخلات ولا تعليقات منه, ليعبر الكاتب بوساطتها عن الحياة والظروف المعيشية وما فيها من ألم ومعاناة وعكس العوالم الخفية لعلاقة الشخصيات بعضها ببعض وعلاقتها بالذات والوطن .

على الرغم من كثرة الحوارات المباشرة في الرواية، فأنها لا تخلو من الحوار غير المباشر الذي يأتي عبر صيغة استذكار الشخصية أو عبر تأملات الذات والعالم للتعبير عن تناقضات الواقع ومفارقات تحولات التاريخ المعاصر العراقي .

والحوار غير المباشر حوار حدث في الزمن الماضي ونقله الراوي ودمجه في السرد, فعلى سبيل المثال, الحوار الذي دار بين يوسف وأخته حنة حول زوجة الوزير (طارق عزيز), ومواظبتها على الصلاة في الكنيسة التي كانت سببا في جدالهم فيقول يوسف: **"عندما قالت لي ذات يوم أنها شاهدت زوجته تبكي طوال القداس في الكنيسة يوم الأحد.أضافت بأنها تواظب على الحضور كل احد وتظل تذرف الدموع من بداية القداس حتى نهايته.فقلت لها يومها لعلها تعرف ما يفعله زوجها.فاعترضت حنة قائلة انه إنسان ورع ولا علاقة له بما يفعله البعض في الحكومة(..) ووبختني قائلة إني لو كنت اذهب إلى الكنيسة لرأيت ذلك بأم عيني"** [79]. ثم يتحول الحوار غير المباشر إلى حوار مباشر:

"لا بالله؟ ليشم ما تروح إنت للكنيسة وتكفّر عن ذنوبك؟"
"أنا ما عندي ذنوب وما كن أذيتو أحد"
"ها يشلون حكي هذا؟ ما يكفي ماتئذي أحد . لازم تكمل واجبك ." [80].

والملاحظ أن الحوار غير المباشر جاء باللغة الفصيحة على عكس الحوارات المباشرة التي انمازت بقربها الشديد من الكلام العامي والشعبي، إذ عمد الكاتب إلى توظيف المفردة الدارجة بكثرة، فجاء الحوار بالعراقية المحكيّة باللهجة الموصلية التي يستعملها أبناء الطائفة المسيحية, وجاءت بعض التعبيرات باللغة الكلدانية, فعلى سبيل المثال, توبيخ أم يوسف له لأنه أكل بشراهة بقولها:" آي ما ايث بريشخ ؟سلطانا؟"[81], وكذلك الحال عند قراءة التراتيل والصلاة التي يؤديها المصلون المسيح باللغة الكلدانية مثل قول يوسف:" قديشا الاها, قديشا حلثانا, قديشا لا مايوثا اثراحم علين. شوحا لاوا, ولورا ولروحد قديشا, دعالمين آمين"[82].

يعمد الكاتب أحيانا إلى التهجين أي الجمع بين لغتين عند الحوار, فجمع بين اللغتين الكلدانية والانجليزية في حوار دار بين الأب وطلابه عندما رآهم مجتمعين في إحدى الصور, فيقول الراوي:"إن الفاذر سماهم pack of wolves " قطيع ذئاب" لكن يوسف قال له: " No father ,we are a harmless flock of birds " كلا, يا أبونا, نحن سرب طيور مسالمة" [83], فالكاتب ذكر الكلام بالانجليزية وقدم ترجمة مباشرة له ليكون مفهوما لقرائه, كما عمد إلى الاقتراب من اللهجة العامية اللبنانية في قول جميل للنادل ليطلب لأخته حنة مشروبا غازيا لأنها لا تشرب العرق بقوله:" منا سكرجية متلنا. جيبلا كولا, هي والصغير بيشربو كولا"[84]. فلغة الكاتب متنوعة بين العامية والدارجة والكلدانية مما يؤكد صفة التهجين والباروديا فيها.

يأتي الحوار غير المباشر عادة عبر استذكار الشخصية لبعض الأحداث الماضية من حياتها ، أي عندما يكون السرد بصيغة الراوي الأنا ، إلا أن الكاتب اعتمد الحوارات المباشرة حتى في حالة استذكار الشخصية وسردها للأحداث ، فتقول (مها) عندما تسرد معاناتها :

"قال لي احد الموظفين ذات يوم وهو يقرأ استمارة ملأتها بالمعلومات الشخصية لأكمل معاملة, معلقا على اسم والدي:" اسم جورج أجنبي مو؟" فأجبته بحزم:
"لا مو أجنبي, عراقي "
" شلون مو أجنبي ؟ مثل جورج بوش ."
"لا , مثل جورج وسوف ...وجورج قرداحي "
دمغ الاستمارة وأعادها إلي وأحسست بالتعالي والكره يسيل من نظراته عندما تبرم قائلا:"يعني قحط أسامي؟ شوفولكم أسامي عربية, لم اقل شيئا, ما فائدة الجدال مع جاهل حقير" [85] ، ثم تنتقل في سردها واستذكارها إلى الحوار غير

المباشر : **ولم تكن تلك أول ولا آخر مرة . عندما حكيت القصة لأبي حدّثني عن عبد السلام عارف الذي حكم البلاد قبل أن أولد أنا بسنين طويلة وكيف قال ذات يوم وهو يلقي كلمة أمام حشد كبير :"لاجوني ولاجورج بعد اليوم . بويه حمد وخويه حمود." لكنه أضاف بأن عبد السلام عارف كان معتوهاً ، لأنه أيضاً قال ذات مرة بعد أن ملّ من الهتافات وهو يحاول أن يكمل خطابه : "كافي ! خلونا ناكل خرا عاد!"** [86].

تبدأ الرواية بالسرد بضمير المتكلم (أنا) وهو البطل داخل الرواية وإحدى شخصياتها, ويسمى جواني الحكي أي لا وجود له خارج المحكي, وهو راوي داخلي ويعد راويا من الدرجة الثانية, وهو الشخصية المتخيلة (يوسف) الذي تكفل بمهمة سرد الفصلين الأول والثالث, ومن ثم انتقل الكاتب بمسار السرد إلى ضمير الغائب (هو) أي الراوي العليم بكل شيء, وهو الراوي الخارجي ويعد راويا من الدرجة الأولى, وهو براني الحكي أي لا دور له داخل الرواية أو غير مشارك فيها, فهو كائن ورقي أو ذات سردية محصورة داخل لغة النص الروائي وحضوره مرتبط فيه فحسب, فسرد الفصلين الثاني والخامس, بينما عرج الكاتب إلى ضمير المتكلم (أنا) مرة أخرى لتروي الشخصية (مها) جانبا من حياتها في الفصل الرابع من الرواية.

تعتمد الرواية على تعدد المنظورات السردية ووجهات النظر والرؤى مثل (والرؤية من الداخل, والرؤية من الخارج)، فضلا عن تعدد الضمائر السردية مثل ضمير (المتكلم, والمخاطب, والغائب)، وأيضا تعدد الرواة, فعمد الكاتب في روايته إلى توظيف السرد بضمير(الأنا) في الفصلين الأول والثالث من الرواية على لسان البطل يوسف ، واللذين حملا عنوان: **(أن تعيش في الماضي)** , بينما أوكل السرد في الفصل الرابع إلى ضمير(الأنا) إذ روته البطلة مها الذي حمل عنوان **(الأم الحزينة)**, أما الفصلين الثاني والخامس فكان السرد فيها على لسان الراوي العليم بضمير الغائب (هو) كقوله:**" لا احد يعرف تاريخ الصورة بالضبط. لكن يوسف يتذكر بأنها التقطت ذات جمعة قبل أشهر قليلة من حركة رشيد عالي الكيلاني عام 1941. أي انه كان في الثامنة من عمره والتقطت في بيت العائلة القديم في عقد النصارى"**[87].

يعبر تعدد الرواة عن اختلاف المواقف الفكرية والإيديولوجية واختلاف وجهات النظر تواصلا وتبليغا وإقناعا, فمنح الكاتب شخصياته الحرية الكاملة في التعبير عن وجهات نظرها دون تدخل مباشر منه، وإنما ترك للقارئ قرائن سردية ولغوية وحجاجية تقوده إلى الاعتقاد بما يريده الكاتب، فوظف استراتيجية السرد المكونة من أفعال لغوية ضمنية، ترمي إلى التأثير بالقارئ وتغيير كوقفه السلوكي عبر استهداف أفكاره ومعتقداته؛ وذلك لما يتضمن الخطاب من قوة انجازية .

خاتمة

– تجسد الشخصيات المتحاورة علامات مرجعية على الواقع المعيش وذلك عبر أقوالها وأفعالها, فكلها تريد الأفضل على وفق رؤاها وأفكارها, فبعضها يبحث عن السلام في عالم مليء بالصراعات الخارجية أي الظروف المحيطة, والمتناقضات الداخلية أي الصراعات النفسية فيتمسك بعضها بالوطن, وبعضها الآخر يبحث عن الحرية الشخصية والدينية والمساواة في عالم تسوده النظرة الدونية والتفرقة العنصرية فيرغب بالهجرة نحو الغربة رغبة في تحقيق الأماني والغايات, والوصول إلى الأمان المفقود.

– تبغي الرواية التعبير عن فعل انجازي يتمثل في صعوبة استقرار الوضع في العراق بعد ما مر به من أحداث, ويتمثل فعلها التأثيري في إقناع القارئ أو المتلقي بضرورة الهجرة والاغتراب بصفته حلا مناسبا للأقلية المسيحية, فضلا عن دعوته للتعاطف معهم بوصفهم مضطهدين من الأكثرية المسلمة أو بسبب الأعمال الإرهابية التي تطالهم. وهذا ما أثبتته نهاية الرواية بموت بطلها (يوسف) - الشخصية المتفائلة والموضوعية في تقييمها للأحداث والآخر، وفي طرحها لآرائها- في حادث إرهابي استهدف الكنيسة وهي مفارقة مقصودة من الكاتب وانحيازاً منه لمنطق (مها) السوداوي والمتشائم، عبر محاولة إثارة انفعالات المتلقي باللعب على وتر الإنسانية ونبذها لمشاهد القتل وإباحة الدماء .

– يتكون خطاب الرواية من جمل تحمل أفعالا متضمنة في الكلام مثل الإخبار والإرشاد والسؤال والتعبير , ولكن الأفعال المنجزة فيها متخيلة وغير حقيقية وخرجت عن الواقع لما يقتضيه الحدث الروائي, وان وضوح سياقها ومقامها أدى إلى أن يكون خطابها موجها إلى قراء أو متلقين متنوعين أو متعددين, فهي مفتوحة على التعدد واللانهاية. وهذا لا يمنع من كون الكاتب قد استحضر - وهو يكتب خطابه - قارئاً في ذهنه يشاركه القواعد السياقية والمقامية والمراجع التي يحيله إليها النص .

– تعد رواية يا مريم بوليفونية تفاعلية نسبية تحتكم إلى دمقرطة السرد والرؤية والايديولوجيا, وتعتمد على الحوار الصريح أو المباشر, وتقوم تداوليتها على العلاقة ما بين النص والقارئ في السياق التواصلي مما يفتحها على تعدد القراءات والتأويل, وتتلخص مقاصدها في الانفتاح والتغيير والتعبير عن الصراع الحضاري والثقافي والديني بين الأديان المتعايشة في العراق منذ القدم والى الآن، فضلاً عن وضوح مقصدية الكاتب – التي طرحها بذكاء- في بث مظلومية الفئة المسيحية .

الهوامش

---

(1) ينظر: د. مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية " في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1 ، تموز(يوليو) ، 2005 :16.

(2) ينظر: المصدر نفسه :16 .

(3) ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، ج11 : 252-253 مادة دول . وينظر: الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ضبط يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، بيروت – لبنان ، 2003 :900 مادة : دول .

* يعد د. ميجان الرويلي ود.سعد البازعي صاحبا كتاب (دليل الناقد الأدبي) الذرائعية والتداولية والتبادلية مصطلحات مترادفة على الرغم من تبنيهم مصطلح (الذرائعية الجديدة) لهذه المقاربة . ينظر: د. ميجان الرويلي ، د. سعد البازعي ، دليل الناقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، بيروت – لبنان ، ط3 ، 2002 ، : 167-169 .

(4) ينظر: محمود احمد: آفاق جديدة في البحث اللغوي: دار المعرفة الجامعية, مصر, د. ط, 2006: 11.
وينظر أيضا: د. خالد خليل: الدلاليات والتداوليات أية علاقة: مج, ثقافتنا,ع ,10, 2011: 62. وينظر: د.خليفة بو جادي: التفكير اللغوي التداولي عندَ العرب مصادرُه ومجالاتُه:
http://ouarsenis.com/vb/showthread.php?t=36464

(5) د. مؤيد عبيد: التداولية النشأة والمفهوم: مج أقلام, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد,ع5, أيلول, تشرين الأول, 2008: 35.

(6) عبد الستار جبر: محاولة في مقاربة تداولية: مج أقلام, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد,ع5, أيلول, تشرين الأول, 2008: 71.

(7) عبد العزيز إبراهيم: التداولية إشكالية التعريف ومقاربة التمثيل: مج أقلام, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, ع1, كانون الثاني, شباط, آذار, 2012: 15.

(8) ينظر: علي آيت أوشان: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة: مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1, 2000: 56- 57. وينظر: عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج: أفريقيا الشرق, المغرب, ط1, 2006 :61.

(9) فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان: ت, صابر حباشة, دار الحوار اللاذقية, سوريا, 2007: 18-19.

(10) الجيلالي دلاش: مصدر سابق: 16.

(11) ينظر: مسعود صحراوي: 16-17 .

(12) ينظر: باديس لهويمل: التداولية والبلاغة العربية: مج المخبر, جامعة محمد خضير, بسكرة , الجزائر, ع 7, 2011.: 159.

(13) عبد العزيز إبراهيم: هل تصلح التداولية منهجاً نقدياً:
http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php?t=77374

(14) ينظر: د. رضوان الرقبي: النظرية التداولية المفهوم والتصور(3) صحيفة المثقف,ع, 3206, في2015/6/16.

(15) أوستن(1911-1960) أستاذ في فلسفة الأخلاق بجامعة أكسفورد وهو مؤسس تداولية أفعال الكلام في كتابه(كيف ننجز الأشياء بالكلمات), أما سيرل فهو تليمذه الذي طور نظريته بعد وفاته في كتابه(نظرية أفعال الكلام), أما غرايس (1913-1988) فهو فيلسوف لغة أمريكي له الأثر في توجيه الدرس الفلسفي للمعنى عبر آليات المحادثة. ينظر: د. رخرور أمحمد: مصدر سابق.

(16) ينظر: د. حميد حسون: التداولية بين العرب والغرب :
http://brahmiblogspotcom.blogspot.com/2011/05/blog-post_9323.html
وينظر أيضا: د.عيد بلبع: التداولية : البُعد الثالث في سيميوطيقا موريس: مج فصول، القاهرة ,ع, 66، ربيع, 2005.

(17) ينظر: أ. راضية خفيف بو بكري : التداولية وتحليل الخطاب الأدبي مقاربة نظرية : مج, الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب , دمشق، ع , 399 تموز, 2004: 6.

(18) ينظر: ميجان الرويلي وسعد البازعي : 167. وينظر أيضا: فرانسوا أرمينكو: المقاربة التداولية : ت, د.سعيد علوش، مركز الإنماء القومي : د. ط , 1986: 84.

(19) ينظر: ميجان الرويلي وسعد البازعي: مصدر سابق: 167- 169.

(20) ينظر: د.جميل حمداوي: : المقاربة التداولية في الأدب والنقد:
.http://www.almothaqaf.com/qadaya2009/58914.html

(21) د.هاجر مدقن: آليات تطبيق المنهج التداولي على النص التراثي:
.http://manifest.univ-ouargla.dz/index.php/seminaires/archive/facult

(22) ينظر: د. رضوان الرقبي: مصدر سابق.

(23) ينظر: باديس لهويمل: مصدر سابق: 165-166.

(24) د.حميد حسون : مصدر سابق

(25) إبراهيم بن عبد الرحمن براهمي: دلالـة مصطلح المقام بين الدرس البلاغي العربي والتصور الوظيفي التداولي المعاصر:
http://brahmiblogspotcom.blogspot.com
وينظر أيضا: صابر الحباشة: الحجاج في التداولية مدخل إلى الخطاب البلاغي: مج ثقافات, 2011: 205.

(26) عيد بلبع : في التداولية إشكالية المصطلح بين المفهوم والترجمة والتعريب: مج أقلام, دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد, أيلول, تشرين الأول,ع5, 2008: 24.

(27) د. مؤيد عبيد: مصدر سابق: 40.

(28) عبد العزيز إبراهيم: التداولية إشكالية التعريف ومقاربة التمثيل: مصدر سابق:19.

(29) ينظر: د. مجيد الماشطة : شظايا لسانية : مطبعة السلام, البصرة, ط1, 2007: 59, نقلا عن: د. خالد خليل: مصدر سابق:61.
(30) عبد الستار جبر: مصدر سابق: 72.
(31) ينظر: فان دايك: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي:ت, عبد القادر قنيني, أفريقيا الشرق, الدار البيضاء, المغرب,1991: 292.
(32) أ. راضية خفيف بو بكري: مصدر سابق.
(33) ينظر: عبد العزيز إبراهيم: التداولية إشكالية التعريف ومقاربة التمثيل: مصدر سابق:24, وينظر أيضا, د.سمير الخليل: هل ستصبح التداولية المنهج النقدي القادم : جريدة الأديب, بغداد,ع 58, 2005/2/9.
(34) عبد العزيز إبراهيم: التداولية إشكالية التعريف ومقاربة التمثيل: مصدر سابق: 22.
(35) المصدر نفسه: 23.
(36) المصدر نفسه: 24.
(37) المصدر نفسه: 24.
(38) جون ادمز: التداولية والقص: ت, د. خالد سهر: مج أقلام, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, أيلول, تشرين الأول,ع5, 2008: 64.
(39) المصدر نفسه: 65 .
(40) المصدر نفسه:68 .
(41) المصدر نفسه:66 .
(42) المصدر نفسه:67.
(43) ينظر: عمر بلخير: إجراءات التحليل التداولي للخطاب: https://omarbelkheir.wordpress.com
(44) ينظر: د. جميل حمداوي: مصدر سابق.
(45) ينظر : رواية يا مريم : سنان انطوان : منشورات الجمل ، بيروت- بغداد ، ط1 ،2012 :18 ، 19، 20 ، 40 ، 41 ، 42 . وفيها عرض للطقوس الدينية وتفاصيل للشخصيات المسيحية ورجالات الكنيسة وتعريف بتاريخ الديانة المسيحية .
(46) ينظر: يا مريم: 47 .
(47) ينظر: حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي : المركز الثقافي العربي, بيروت, ط1, 1990: 26.
(48) ينظر: د.جميل حمداوي : مصدر سابق .
(49) ينظر: د. كاهنة دحمون : مصدر سابق :237.
** يرد الحجاج في الخطاب إما مباشراً صريحاً، وإما ضمنياً غير مباشر، وقد أطلق على الشكل الأول مصطلح (المقصد الحجاجي) ، وسمي الشكل الثاني (بعداً حجاجياً) . ينظر: محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات ، دار محمد علي للنشر – تونس ، دار الفارابي – لبنان ، دار تالة –الجزائر ، دار العين–مصر، دار الملتقى- المغرب ، ط1 ، 2010 : 53 .
(50) محمد القاضي : 52 .
(51) يا مريم : 97-98.
(52) ينظر: يا مريم : 21-22 .
(53) ينظر: يا مريم 23027 .
*** القراءة التداولية للنص لا تقف على مقاصد الكاتب الظاهرة ، فحسب، بل على مطاردة المضمر والمقاصد المضمنة في الأقوال عبر تتبع القرائن والدلالات السياقية والحجاجية المتوافرة في النص التي تساعد القارئ وتوجهه على فهم النص، وبذلك تنجح عملية التواصل والتفاعل بين الكاتب والقارئ .
(54) د. محمد فكري الجزار: العنوان وسيميوطقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998 : 10 .
(55) يا مريم : 22 .
(56) يا مريم: 26 .
(57) يا مريم : 101 .
(58) ينظر: يا مريم: 113-115 .
(59) ينظر: يا مريم: 119 .
(60) ينظر: يا مريم : 120- 122 .
(61) ينظر: يا مريم: 128 .
(62) يا مريم: 33 .
(63) يا مريم: 102 .
(64) يا مريم: 79- 80 .

(65) يا مريم : 154 155 .
(66) روبرت هولب: نظرية التلقي، ترجمة: عز الدين إسماعيل، النادي الأدبي الثقافي، جدة، 1994: 250- 154 . نقلاً من : د. عبد الله إبراهيم: التلقي والسياقات الثقافية، بحث في تأويل الظاهرة الأدبية، دار الكتاب الجديد المتحدة ، دار أويا للنشر والتوزيع، ب.ت : 8 .
(67) يا مريم : 80 .
(68) يا مريم : 133 .
(69) يا مريم :133 .
(70) يا مريم : 133- 134 .
(71) يا مريم : 135 .
(72) يا مريم : 136 .
(73) يا مريم : 82 .
(74) يا مريم : 104 .
(75) د.نجم عبد الله كاظم : الرواية في العراق 1965-1980 وتأثير الرواية الأمريكية فيها، دار الشؤون الثقافية العامة ، 1987 :231 .
(76) ينظر: المصدر نفسه :231 .
(77) ينظر: يا مريم :23 -24.
(78) يا مريم :24-25.
(79) يا مريم : 21-22.
(80) يا مريم : 22 .
(81) يا مريم :42.
(82) يا مريم :41.
(83) يا مريم : 43.
(84) يا مريم : 54.
(85) يا مريم : 111.
(86) يا مريم : 111 .
(87) يا مريم : 37.

المصادر والمراجع

***القرآن الكريم**

أ- الروايات والكتب العربية والمترجمة.

1 - الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية: ت, محمد يحياتن, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر, 1986.
2 - حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي: المركز الثقافي العربي, بيروت, ط1, 1990**.**
3 - روبرت هولب : نظرية التلقي: ترجمة : عزالدين اسماعيل ، النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، 1994**.**
4 - سنان أنطوان: يا مريم: منشورات الجمل, بيروت, لبنان, ط1, 2012.
5 - د. عبد الله ابراهيم : التلقي والسياقات الثقافية ، بحث في تأويل الظاهرة الأدبية، دار الكتاب الجديد المتحدة ، دار أويا للنشر والتوزيع ، ب.ت .
6 - عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج: أفريقيا الشرق, المغرب, ط1, 2006 .
7 - علي آيت أوشان: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة : مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1, 2000.
8 - فان دايك: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: ت, عبد القادر قنيني, أفريقيا الشرق, الدار البيضاء, المغرب ,1991.
9 - فرانسوا أرمينكو: المقاربة التداولية: ت, د.سعيد علوش، مركز الإنماء القومي, د. ط, 1986.
10 - فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان: ت, صابر حباشة, دار الحوار اللاذقية, سوريا, 2007.
11 - د. محمد فكري الجزار: العنوان وسيميوطقا الاتصال الأدبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998.
12 - محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات ، دار محمد علي للنشر – تونس ، دار الفارابي – لبنان ، دار تالة –الجزائر، دار العين–مصر، دار الملتقى- المغرب ، ط1 ، 2010 .
13 - محمود احمد: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: دار المعرفة الجامعية, مصر, د. ط , 2006.
14 - د.مجيد الماشطة: شظايا لسانية: مطبعة السلام, البصرة , ط1, 2007.

15 - مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي: دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1, 2005.
16 - ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3, 2000.
17 - د.نجم عبد الله كاظم : الرواية في العراق 1965-1980 وتأثير الرواية الأمريكية فيها ، دار الشؤون الثقافية العامة ، 1987.

ب-الدوريات والصحف والاطاريح

1-باديس لهويمل: التداولية والبلاغة العربية: مج المخبر, جامعة محمد خضير, بسكرة,الجزائر, ع 7, 2011.
2- جون ادمز: التداولية والقص:ت,د. خالد سهر: مج أقلام, دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد, أيلول, تشرين الأول,ع5, 2008.
3- د. خالد خليل: الدلاليات والتداوليات أية علاقة : مج, ثقافتنا, بغداد, ع ,10, 2011.
4- أ. راضية خفيف بو بكري: التداولية وتحليل الخطاب الأدبي مقاربة نظرية: مج, الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب دمشق،ع, 399 تموز, 2004 .
5- د. رضوان الرقبي: النظرية التداولية المفهوم والتصور: صحيفة المثقف,ع, 3206, 16/ 6 / 2015.
6- د. سمير الخليل:هل ستصبح التداولية المنهج النقدي القادم: جريدة الأديب, بغداد,ع 58, 2005/2/9.
7- صابر الحباشة: الحجاج في التداولية مدخل إلى الخطاب البلاغي: مج ثقافات,2011.
8- عبد الستار جبر: محاولة في مقاربة تداولية قراءة في قصيدة من أوراق أبو نواس لأمل دنقل: مج أقلام, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, أيلول, تشرين الأول,ع5, 2008.
9- عبد العزيز إبراهيم: التداولية إشكالية التعريف ومقاربة التمثيل: مج أقلام, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد ,ع1, كانون الثاني, شباط, آذار, 2012.
10- د.عيد بلبع: في التداولية إشكالية المصطلح بين المفهوم والترجمة والتعريب: مج أقلام, دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد, أيلول, تشرين الأول,ع5, 2008 .
11- د.عيد بلبع: التداولية: البُعد الثالث في سيميوطيقا موريس: مج فصول، القاهرة, ربيع,ع 66, 2005.
12- د.كاهنة دحمون: تداولية الخطاب السردي بين القديم والجديد: أطروحة دكتوراه, إشراف د. آمنة بلعلي: كلية الآداب واللغات, جامعة مولود معمري تيزي وزو, الجزائر,2014.
13- د.مؤيد عبيد: التداولية النشأة والمفهوم: مج أقلام, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, أيلول, تشرين الأول, ,ع5, 2008.

ج- المواقع الالكترونية.

1- إبراهيم بن عبد الرحمن براهمي: دلالة مصطلح المقام بين الدرس البلاغي العربي والتصور الوظيفي التداولي المعاصر: http://brahmiblogspotcom.blogspot.com
2- د. جميل حمداوي: المقاربة التداولية في الأدب والنقد: http://almothaqaf.com/index.php/qadaya2009/58914.html
3- أ. د.حبيب مونسي: التداولية ومقاصد الخطاب الأدبي مقاربة مقارنة بين علم المقاصد العربي وأفعال الكلام البراغماتي: http://brahmiblogspotcom.blogspot.com/2011/05/blog-post_1539.html
4- د. حسن يوسفي: المسرح والتداولية :http://aslimnet.free.fr/ress/h_youssefi/msm6.htm
5- د. حميد حسون: التداولية بين العرب والغرب: http://brahmiblogspotcom.blogspot.com/2011/05/blog-post_9323.html
6- د. خليفة بو جادي: التّفكير اللّغوي التّداولي عندَ العرب مصادرُه ومجالاتُه: http://ouarsenis.com/vb/showthread.php?t=36464
7- خليفة بولفعة: أفعال اللغة والخطاب الأدبي: www.mohamedrabeea.com/books/book1_203.docx
8- عبد العزيز إبراهيم: هل تصلح "التداولية" منهجاً نقدياً: http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php?t=77374
9- عمر بلخير: إجراءات التحليل التداولي للخطاب: https://omarbelkheir.wordpress.com
10- د.هاجر مدقن: التحليل التداولي الأفق النظري والإجراء التطبيقي في الجهود التعريفية العربية: http://revues.univ-ouargla.dz/index.php/numero-11-2011/660
11- د. هاجر مدقن: آليات تطبيق المنهج التداولي على النص التراثي: http://manifest.univ-ouargla.dz/index.php/seminaires/archive/facult